بسم الله الرحمن الرحيم

{ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً
وقال إنني من المسلمين}

صدق الله العظيم

فصلت /٣٣

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى الشباب المسلم الغيور على دينه وبلده،

قد يكون على صفحات هذا الكتاب، وبين سطوره، ما يُفيد فى فهم كيف أنَّ الإسلام دعوةٌ إلى الحريةِ المسئولة. لا التعصب البغيض، والإجتهاد لا التقليد والجمود والاتباع السلفى لا الإبتداع غير المسئول.

وأنَّ الدينَ علمٌ وذوق، عقل وقلب، برهانُ وإذعان، فكرٌ ووجدان

جمال المرزوقى

obeikandi.com

obeikandl.com

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وبعد:

فهل يحق لأحد أنْ يزعم أنْ أحداً من الباحثين المجتهدين في الفكر الإسلامي، قدَّم فهماً للإسلام نستطيع أنْ نَصفه بالصحة والصواب، وما سواه من الرؤى التي قدمها غيره، بعيدٌ عن هذه الصحة وهذا الصواب؟

ثم ما هو معيار الصحة والصواب الذي نزن به فكر هذا أو ذاك من مفكرينا المسلمين؟

بمعنى آخر، يصف الكثير من مفكرينا نفسه بأنه (مفكر إسلامي) ما هي إذن السمات الجوهرية التي تؤهله لاستحقاق هذا الوصف؟

نرى أنَّ المفكر الذي يتصف فكره بالإسلامية، ينبغي أنْ تأتي أقوالُه وأفعالُه، إلى حدٍ كبير، تجسيداً لهذه الصفة، فالتدين ليس مجرد التمسك بشكليات الدين دون جوهره، أو إدعاء الدين لتحقيق مآرب ذاتية، وإنما التدين هو الفهم الواعي للدين والعمل به، بما يربط حياة التعبد بحياة المجتمع، فلا ينعزل الدين، ويتقوقع أصحابُه بعيداً عن حقائق الحياة.

و استناداً إلى هذا الفهم، يعرض هذا الكتاب لبعض رؤى التحديد في الفكر الإسلامي المعاصر، من خلال منهج نقدي، نثني فيه على المفكر حين يقترن التمسك بالقرآن وصحيح السنة عنده، بالاجتهاد في فهم النصوص فهماً يُراعي حاجات المجتمع والمشاكل التي تواجه الناس، ليكون التشريعُ نابعاً منها وحلاً عادلاً لها، وبما لا يتعارض مع جوهر العقيدة وروحها.

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول، بحث الأول منها (الدعوة السلفية عند محمد ابن عبد الوهاب) وكيف أنَّ جوهر هذه الدعوة يتمثل في أن مسألة "التوحيد"، التي هي عماد الإسلام، والتي تعبَّر عنها أصدق تعبير كلمة "لا إله إلا الله" تعنى في المقام الأول، الإعتقاد بأن الله وحده هو الخالق، وليس في الخلق من يشاركه في خلقه، ولا في حكمه، وهو تبارك وتعالى، وحده مُشرِّع العقائد، وهو وحده الذي يُحللُ أو يحَرم، فليس كلام أحد حجة في الدين، الحجة فقط في الكتاب وصحيح السنة النبوية الشريفة، فهما الحكم الوحيد في تقرير الحُكم الشرعي، فلا حلال إلاّ ما حلاه . ولا حرام إلاّ ما حرماه، والحق كل الحق فيما قرراه وأثبتاه.

ولكن "سلفية" الوهابية وقفت عند ظواهر النصوص الدينية، وجعلت المعاني المستفادة من هذه الظواهر ، المرجع في كل من أمور الدين وأمور الدنيا، ومن ثم أسقطت من تراثها العلوم العقلية، واعتبرتها "بدعاً" طرأت على الإسلام،

وفي الفصل الثاني: عرضنا لفكرة "المهدية" كما فهمها محمد أحمد المهدي السوداني، وبينا أنَّ (محمد أحمد) قد وقع باجتهاده في أخطاء كثيرة، خرجت به عن التعاليم الأصلية، المستمدة من الكتاب وصحيح السنة، أولهما وأخطرها، أنَّه حكم مبدئيا بتكفير من يخالفه في شئ، فهو يكرر دائماً أنَّ من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله، وأنَّ من أطاعه فقد غفر الله ذنبه، مع أنَّ أركان الإيمان في الإسلام، تلك التي إن أنكر الإنسانُ ركناً منها يعد كافراً، ليس فيها الإيمان بالمهدي أو المهدية، والأخطر من هذا هو أنَّه ينسب هذا الحكم. تكفير من يشك في مهديته ــ للرسول (ص)، ونتساءل هل يحقُ لفرد مهما كان مقامه، أنْ يكون حكماً في معتقدات الناس، وأنْ يدخلهم في الإسلام أو يخرجهم حسب مقاييسه الخاصة؟!

هذا، ونرى أنّ لرؤية محمد أحمد، العديد من الإيجابيات لعلّ أهمها حثه أتباعه أنْ يتركوا الملاهي الدنيوية، وأنْ يقبلوا على الذكر، والأعمال التي تؤدى بهم إلى نعيم الآخرة، وأيضاً حثه على الشفقة على العباد، ذاكراً ضرورة ارتباط المسلمين ووحدتهم، ومنعه سل السيوف، وهز السلاح وركوب الخيل في أماكن السكن، فلا يصح أنْ يحمل أحدُ سيفه مباهياً مغروراً بقوته أو داعياً إلى إخافة غيره من المسلمين، وغير المسلمين، فالسيف ، وهو رمزُ للقوة والبطش، يجب ألاّ يستخدم إلا في مقتضاه الحقيقي، وهو الجهاد في سبيل الله.

ويعالج الفصل الثالث: "الاتجاه العقلي عند الإمام محمد عبده" فيبين أنّ الغاية الأولى التي استهدفها محمد عبده من نشاطه الفكري هي (تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة)، وهو يعتبر أنّ العقل، وليس النقل هو طريق معرفة الإنسان لله، وسبيله إلى الإيمان.

ومحمد عبده، في رأينا واحد من ألمع رسُل التنوير المعاصرين، الذين أخذوا النافع والمفيد من كل جديد، و انتقوا الصالح من كل حضارة، ونبذوا الضار والباطل، و لم يكن من هؤلاء الذين انطمست بصائرهم وذابت شخوصُهم، فقد احتفظ الإمام برأسه في طوفان الجديد الوافد، لأنه كان يؤمن بأنه غنى في ذاته، وأنّ له حضارته وجذوره وعطاءه.

ويتناول الفصل الرابع : رؤية الدكتور محمد إقبال في تفسير الوجود، وكيف أنّ الحضارة الغربية، والتي لا تؤمن إلا بالمادة، قد حطت من قيمة الإنسان المعاصر، وسلبته إيمانه بنفسه، و أوجدت له مشاكل لا قبل له بحلّها، وكيف أنّه وجد في الإسلام ديناً يدعو إلى العمل والنضال، وإطلاق طاقات المسلمين، وتحريرها من

القـــيود و الأسر، لا إلى السكون والجمود والتقاعس، وتكمن قيمة إقبال، في رأينا، في ثقته التي لا تعرف الحدود، بالعقل، وإعطاء الإنسان حرية شبه مطلقة.

أما الفصل الخامس والأخير: فيعالج إيجابية التصوف عند الدكتور التفتـــازاني، مركزاً على أنَّ التصوف محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينـــه علـــى مواجهة الحياة المادية، وتحقق له التوازن النفسي حتى يواجه مصاعبـــها ومشـــكلاتها، وكيف أنَّ الإسلام يُعين على الملاءمة بين العلم والإيمان، لأنه دين العقل، وكيـــف أنَّ نهاية العلم في الحقيقة هي بداية الإيمان الصحيح لا الإيمان التقليدي.

وهذا الكتاب يمثل مجهودا متواضعاً من أجل الكشف عن حقيقة الموقف الفكري لبعض مفكرينا المسلمين المعاصرين، الذين تحددت معالم فكرهم من واقع احتكاكـــهم بمصدري العقيدة: القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية الشريفة، وأرجو أن يكون هذا الكتاب، محققاً للفائدة التي نرجوها منه، والله نسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الصواب وإليـــه يرجع الأمر كله.

جمال المرزوقي

obeikandl.com